

التناسق الموضوعي في سورة العاديات

علي عبد الله أحمد الحريرات*

ملخص

تناولت هذه الدراسة سورة من السور القصار في القرآن الكريم، التي اختلف في توجيه القسم فيها وعلاقته بوحدها الموضوعية تبعاً للاختلاف في نزول السورة، وقد تتبعت في هذه الدراسة المناسبات لهذه السورة مع السور السابقة واللاحقة لها، للكشف عن وحدتها الموضوعية في ضوء علاقتها مع جارتها من السور وهو ما يعطي تصوراً شمولياً عن وحدة السورة الموضوعية من خلال شبكة العلاقات مع هذه السور. واعتمدت في تحديد وحدتها الموضوعية إضافةً لمناسباتها على الجانب اللغوي والدلالي لمفردات السورة وتراكيبها وتوجيه الروايات التي ذكرت في نزولها للوقوف على محور هذه السورة العظيمة. الكلمات الدالة: العاديات، المناسبة، التناسق، الوحدة الموضوعية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد: امتثالاً لأمر الله تعالى في مُحكم كتابه في قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص/29] جاءت هذه الدراسة لسورة عظيمة جليلة من سوره، صدرها بالقسم بالعاديات، والمتأمل في القرآن الكريم يجد تناسقاً عظيماً محكماً بين سوره وآياته، وسبب اختاري لهذه السورة الاختلاف في تحديد وتوجيه القسم في السورة تبعاً للاختلاف في تحديد زمن نزول السورة، فحاولت في هذه الدراسة بيان التناسق الموضوعي فيها، والعلاقة بين القسم والمقسم عليه في السورة والوقوف على محورها العام وهداياتها وتدبر آياتها. أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدد من التساؤلات وهي:

1. ما الراجح في نزول سورة العاديات؟
2. ما الأثر المترتب عليه في النسق الموضوعي للسورة؟
3. ما الأثر المترتب على مناسبات السورة لما قبلها ولما بعدها؟
4. ما المحور الرئيس الذي تقوم عليه السورة؟
5. هل ثمة علاقة بين السورة وفريضتي الجهاد أو الحج؟
6. ما المناسبة بين القسم الوارد في السورة ومضمون السورة؟

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من اتصالها بتدبر القرآن الكريم ومحاولة فهم آياته وابتغاء الجزاء على فضل تعلم القرآن الكريم في الدنيا والآخرة، وقد تناولت دراسات في التناسق الموضوعي لعدد من سور القرآن الكريم بيد أنني لم أجد دراسة تناولت هذا الجانب لهذه السورة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف في إطار تدبر القرآن ومحاولة فهمه لسورة عظيمة جليلة ومن هذه الأهداف:

1. التحقيق في نزول سورة العاديات وبيان أثر ذلك في تحديد محور السورة وموضوعها الرئيس والجو العام للسورة، وما يتفرع عنه

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة. تاريخ استلام البحث 2018/9/23، وتاريخ قبوله 2018/12/18.

- من معانٍ فرعية.
2. بيان أسباب اختلاف المفسرين في نزول السورة، وسبب اختلافهم في توجيه القسم في السورة.
 3. الوقوف على الوحدة الموضوعية في السورة، وإبراز التناسق بين موضوعات السورة.
 4. بيان العلاقة بين القسم والمقسم عليه في السورة من خلال مفردات القسم ودلالاتها اللغوية، وأثر ذلك في وحدتها الموضوعية.

الدراسات السابقة

تنوعت الدراسات في جانب التناسق الموضوعي لعدد من سورة القرآن الكريم، وكُتبت رسائل علمية فيه، غير أنني لم أجد دراسة في هذا الجانب لهذه السورة العظيمة، وبعد البحث عن دراسات سابقة لسورة العاديات وجدت ما يأتي:

- 1- بحث بعنوان " أسلوب القرآن في سورة العاديات دراسة تحليلية ستيلاستيكية " للباحث محمد يورداني، في شعبة اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والثقافة، الجامعة الإسلامية / مالانج، 2008م.

وهذه الدراسة تشتمل على دراسة الجوانب اللغوية ستيلاستيك وهي دراسة تقابلية بين علم اللغة والأدب الذي يدرس ظواهر اللغة، وعُنيت الدراسة بتناسق الأصوات الذي ينشأ منها الإيقاع الموسيقي للفواصل، والمحسنات البديعية وغيرها.

وما يميز دراستي أنها عُنيت بالجانب الموضوعي للسورة من خلال دراسة مكيتها ومدنيتها وتناسب القسم فيها مع مقاطع السورة.

- 2- سورة العاديات " دراسة مقطعية " للباحث م. د هلال محمود علي، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، وهي دراسة تعتمد على التقطيع العروضي لآيات السورة ودلالاته على معاني الآيات. وتخلو الدراسة - على فضلها - من الحديث عن التناسق الموضوعي للسورة والذي هو مقصود دراستي.
- 3- التناسق الموضوعي في السورة القرآنية للدكتور محمد عمر بزمول، تحدث الباحث في بحثه القيم عن التناسق الموضوعي في السورة وقسمه لثمان مباحث تناول فيها المناسبات في القرآن الكريم، والتناسق الموضوعي والمقاصد الكلية للقرآن، ودراساتي هي جانب تطبيقي للتناسق الموضوعي لسورة العاديات.
- 4- الوحدة الموضوعية في سورة العاديات، للباحث الدكتور حسن عبد الجليل، مجلة هدي الإسلام، لم يتطرق الباحث فيه إلى مناسبات السورة مع جارتها، والتناسق الموضوعي بين القسم والمقسم عليه وعلاقتها بموضوعها.
- 5- قراءة بلاغية في سورة العاديات، للدكتور جمال عبد العزيز أحمد، وهي عبارة عن مقال يتحدث عن الجوانب البلاغية للسورة.
- 6- الوحدة الفنية في سورة العاديات، للدكتور كريم الوائلي، تحدث فيه الباحث عن جانب التصوير الفني والتفسير الحركي للسورة وتقسيمه السورة إلى ثلاثة مقاطع.
- 7- تأملات في سورة العاديات، آمال إبراهيم أبو خديجة، وهو مقال عرضت فيه الباحثة إلى جانب التصوير الفني في السورة، وقسمت السورة إلى ثلاثة مقاطع وعرضت لفوائد تربوية من السورة.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي من خلال إبراز الروابط بين موضوعات السورة، وعلاقة اسم السورة بموضوعها.

خطة البحث:

- تتكون هذه الدراسة من مقدمة ومبحثين اشتملت على عدد من المطالب وخاتمة:
- المبحث الأول: مقدمات تعريفية بمفاهيم الدراسة ونموذج الدراسة (سورة العاديات) وفيه المطالب على النحو الآتي:
 - المطلب الأول: التعريف بمفردات الدراسة ومفاهيمها
 - المطلب الثاني: التعريف بسورة العاديات
 - المطلب الثالث: مناسبات السورة
 - المطلب الرابع: محور السورة
 - المبحث الثاني: تناسق الموضوعات في سورة العاديات
 - المطلب الأول: تناسق القسم في السورة ودلالاته
 - المطلب الثاني: التناسق بين القسم والمقسم عليه (جحود الإنسان لنعم ربه)

المطلب الثالث: التناسق بين الغرائز الإنسانية والوعيد المذكور في السورة.
الخاتمة

المبحث الأول

مقدمات تعريفية متعلقة بمفاهيم الدراسة ونموذج الدراسة (سورة العاديات)

المطلب الأول: التعريف بمفردات الدراسة ومفاهيمها

التناسق لغة واصطلاحاً

التناسق لغة: قال الرازي في المختار: نَعَزَ (نَسَقٌ) بِفَتْحَتَيْنِ إِذَا كَانَتْ أَسْنَانُهُ مُسْتَوِيَةً. وَحَزَزَ نَسَقٌ مُنْظَمٌ. وَ(النَّسَقُ) أَيْضًا مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظَامٍ وَاجِدٍ. وَ(النَّسَقُ) بِالنَّسْكِينِ مَصْدَرٌ نَسَقَ الْكَلَامَ إِذَا عَطَفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَبَابُهُ نَصَرَ. وَ(التَّنْظِيمُ) (1)

وفي اللسان: النَّسَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ نِظَامٍ وَاجِدٍ، عَامٌّ فِي الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ نَسَقْتُهُ تَنْسِيقًا؛ وَيُخَفَّفُ. قَالَ ابْنُ سَيْدَةَ: نَسَقَ الشَّيْءَ يَنْسُقُهُ نَسَقًا، وَالنَّحْوِيُّونَ يُسَمُّونَ حُرُوفَ الْعَطْفِ حُرُوفَ النَّسَقِ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ جَرَى مَجْرَى وَاجِدًا. وَالتَّنْظِيمُ: وَالتَّنْظِيمُ. وَالنَّسَقُ: مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظَامٍ وَاجِدٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لَطَوَارِ الْحَبْلِ إِذَا امْتَدَّتْ مُسْتَوِيًا: خُذْ عَلَى هَذَا النَّسَقِ أَيَّ عَلَى هَذَا الطَّوَارِ؛ وَالْكَلامُ إِذَا كَانَ مَسْجَعًا، قِيلَ: لَهُ نَسَقٌ حَسَنٌ. (2)

والناظر في المعنى اللغوي للتناسق يجد أنه يدور حول مفهوم التنظيم والانسجام.

الموضوعي لغة واصطلاحاً: عرف الجرجاني الموضوع بأنه: هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن. (3)

السورة لغة واصطلاحاً: السورة في اللغة من (سَوَّرَ) السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلًا وَاجِدًا يُدَلُّ عَلَى غُلُوِّ وَارْتِفَاعٍ. مِنْ ذَلِكَ سَارَ يَسُورُ إِذَا غَضِبَ وَتَأَرَّ. وَإِنَّ لِعَضْبِهِ لَسُورَةً. وَالسُّورُ: جَمْعُ سُورَةٍ، وَهِيَ كُلُّ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ. (4)

وعرف الأصفهاني السورة بأنها: المنزلة الرفيعة، وسور المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيها بها لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر، ومن قال: سورة فمن أسارت، أي: أبقيت منها بقية، كأنها قطعة مفردة من جملة القرآن. (5)

وتُعرف السورة اصطلاحاً بأنها: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. (6)

تعريف التناسق الموضوعي للسورة كمركب إضافي

يُعد هذا الاصطلاح من المصطلحات المعاصرة، ومعظم ما كان يدور في فلك هذا المفهوم ويقاربه يقع ضمن مفهوم علم المناسبات، ولقد عرفه بعض المعاصرين ومنهم: تعريف الدكتور عمر بازمول بأنه: المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها، لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات (7). وعُرف أيضاً بأنه: تلاحم موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها واتساق معانيها سعياً لخدمة مقصود واحد وهو المحور العام للسورة (8).

المطلب الثاني: التعريف بسورة العاديات

اسم السورة: أشار ابن عاشور في تسميتها في المصاحف القديمة كالمصاحف الْفَيْرَوَانِيَّةِ وَالْعَنَبِيَّةِ وَالْتُونِسِيَّةِ وَالْمَشْرِقِيَّةِ «سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ» بِدُونِ وَاوٍ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ لِإِضَافَةِ الْوَاوِ (وَالْعَادِيَّاتِ). (9)

فائدة معرفة اسم السورة: يُعد اسم السورة من الأمور التي تساعد على معرفة محور السورة العام، وقد ذكر الزركشي في حكمة اختصاص السورة بالاسم الذي سميت به ونبه لضرورة النَّظَرِ فِي وَجْهِ إِخْتِصَاصِ كُلِّ سُورَةٍ بِمَا سُمِّيَتْ بِهِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ تُرَاعِي فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسَمِّيَّاتِ أَخَذَ أَسْمَائِهَا مِنْ نَادِرٍ أَوْ مُسْتَعْرَبٍ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ صِفَةٍ تَخَصُّهُ أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَحْكَمُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَسْبَقُ لِإِذْرَاقِ الرَّائِي لِلْمُسَمَّى وَيُسَمُّونَ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ أَوْ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ بِمَا هُوَ أَشْهُرُ فِيهَا. (10)

نزول السورة: اختلف في زمن نزول سورة العاديات، وذكر السيوطي في الإتيان أن سورة العاديات: فِيهَا قَوْلَانِ: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدِينِيَّةٌ، وَيُسْتَدَلُّ لِكُونِهَا مَدِينِيَّةً بِمَا أَحْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا فَلَبِثَتْ لِلْمُسْتَدْرِكِ فَقَدَ وَجَدَتْ حَدِيثًا لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمُسْتَدْرِكِ يَثْبُتُ مَكِّيَّةَ السُّورَةِ وَلَا يَثْبُتُ مَدِينِيَّتَهَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالَّذِي قَالَ

فيه ابن عباس رضي الله عنهما: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَجْرِ جَالِسٌ، أَتَانِي رَجُلٌ، فَسَأَلَنِي عَنِ «الْعَادِيَاتِ صَبْحًا» فَقُلْتُ لَهُ: «الْحَيْلُ جِبِنٌ تُعْبِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى اللَّيْلِ، فَيَصْنَعُونَ طَعَامَهُمْ، وَيُوقِدُونَ نَارَهُمْ»، فَأَنْقَلَتَ عَنِّي فَذَهَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زِمْرَمٍ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْعَادِيَاتِ فَقَالَ: هَلْ سَأَلْتُ عَنْهَا أَحَدًا قَبْلِي؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُ عَنْهَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: هِيَ الْحَيْلُ جِبِنٌ تُعْبِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قَالَ: فَذَهَبَ فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: ثَقِي النَّاسُ بِمَا عَلِمَ لَكَ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ أَوْلَ غُرُورٍ فِي الْإِسْلَامِ لَبَدْرٍ، وَمَا كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ، وَفَرَسٌ لِلْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْعَادِيَاتِ صَبْحًا؟ " إِنَّمَا «الْعَادِيَاتِ صَبْحًا» مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُرْدَلِفَةِ، وَمِنْ الْمُرْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى، «فَأَنْزَلَ بِهِ نَعْمًا» حِينَ تَطَوَّأُ بِأَخْفَافِهَا وَخَوَافِهَا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَزَعَّتْ عَنْ قَوْلِي، وَرَجَعْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ عَلِيٌّ⁽¹¹⁾، وقد رجح جمهور المفسرين كون السورة مكية، باستثناء بعض المفسرين ممن رجحوا مدنيته كالنيسابوري⁽¹²⁾، وابن عاشور⁽¹³⁾.

ويرجح الباحث مكية السورة وذلك للاعتبارات الآتية: ترتيب السورة وزمن نزولها فلو اعتبرنا قول من قال أنها مدنية، فإن الغزوات الأولى في العهد المدني لم يكن فيها عدد كافٍ من الخيول كما أشار لذلك الحديث السابق، وأيضاً تفسير الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - في الحديث ذاته، وإن كان لا يمنع كونها مكية النزول الحديث عن المرحلة السابقة والممهدة للعهد المدني كما في نصوص قرآنية أخبرك قوله تعالى ﴿ سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر /45]، وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ [الدخان /16] وكلا السورتين - القمر والدخان - مكية النزول، وقد ذكر في تفسير البطشة الكبرى بيوم بدر كما في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - (عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبِّحْ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجَنيفَ، وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ فَالْبَطْشَةُ: يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ الدُّخَانُ وَالْبَطْشَةُ وَاللَّرْزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ⁽¹⁴⁾، فيكون القسم بخيل المجاهدين باعتبار ما سيكون ولا يعارض كون السورة مكية وهو الأرجح -والله أعلم -.

ترتيب السورة:

عُدَّتْ سُورَةُ الْعَادِيَاتِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّورِ بِاعْتِبَارِهَا مَكِيَّةَ النُّزُولِ، وَنَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْعَصْرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْكُوْثِرِ⁽¹⁵⁾، وأما ترتيبها في المصحف فبعد سورة الزلزلة وقبل سورة القارعة.

عدد آياتها: إحدى عشرة آية، وعدد كلماتها: أربعون كلمة، وعدد حروفها: مائة وستون حرفاً.⁽¹⁶⁾

سبب النزول:

قد مر معنا الحديث السابق الذي يشير إلى مكية السورة، وقد ورد في أسباب نزول السورة ما ذكره الواحدي: (قال مقاتل: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيَّةً إِلَى حَيٍّ مِنْ كِنَانَةَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُؤَنِّزَ بْنَ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ، فَتَأَخَّرَ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ الْمُتَأَخَّرُونَ: قَتَلُوا جَمِيعًا، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا» يَعْنِي: تِلْكَ الْحَيْلُ⁽¹⁷⁾). وأخرج عن ابن عباسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعث خيلاً فأسهبت شهراً لم يأتها منها خبرٌ، فنزلت: «وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا» صَبَحَتْ بِمَنَاحِرِهَا، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ⁽¹⁸⁾ والناظر في الروايات التي ذكرت في أسباب النزول وتوحي بمدنية السورة يمكن أن تكون روايات تفسيرية للسورة.

فضائل السورة: لم يصح في فضل سورة العاديات حديث صحيح سوى ما ورد في فضائل المفصل عموماً. وقد وردت أحاديث مرسلة في فضلها ومنها: ما أخرجه أبو عبيدٍ مِنْ مُرْسَلِ الْحَسَنِ: «إِذَا زُلْزِلَتْ تُعْدَلُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ وَبِنِصْفِ الْقُرْآنِ تُعْدَلُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ»⁽¹⁹⁾.

المطلب الثالث: مناسبات السورة

مناسبة اسم السورة لموضوعها

يظهرُ جلياً الترابط بين اسم السورة وموضوعها، فقد سُميت بسورة العاديات، وسبب تسميتها كما يقول الزحيلي: (لأن الله افتتحها بالقسم بالعاديات: وهي خيل المجاهدين المسرعة في لقاء العدو)⁽²⁰⁾، ويرى الباحث أن تسمية السور عموماً وهذه السورة يشير لأبرز موضوعات السورة، وليس لمجرد ذكر اسم السورة بين آيات السورة، أو تفرد بها بهذا الاسم، فكان اسم السورة يدور حول محور السورة الرئيسي الذي تترابط معه بقية موضوعات السورة - والله أعلم -.

مناسبة افتتاحية السورة مع خاتمتها

يذكر أبو جعفر الغرناطي أن آخر السورة وما أقسم سبحانه على حال الإنسان بما هو فقال: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ أي لكفور يبخل بما لديه من المال كأنه لا يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وكأنه ما جمع بقوله: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾، وفي قوله ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ أي المال "لشديد" لبخيل ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ ﴾ وأن الله على ذلك لمطلع فلا نظر في أمره وعاقبة مآله، وميز ما فيها من الخير والشر ليقع الجزاء عليه.⁽²¹⁾ ويرى الباحث أن مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها أنه لما ذكر في مطلع السورة إحدى نعم الله على هذه الإنسان وما يترتب عليها من تعدد المنافع التي تعود عليه بالخير ذكر حال الإنسان في التعامل مع النعم عموماً، وذكره بالآخرة وما يتوجب على الإنسان من الاستعداد لها من خلال شكر هذه النعم وأن الله سبحانه وتعالى مطلع وخبير بحال هذا الإنسان وبأعماله.

مناسبة السورة لما قبلها نزولاً وترتيباً:

من الجدير بالأهمية معرفة السور السابقة واللاحقة لسورة العاديات نزولاً وترتيباً، بل ويرى الباحث أن هذا يُعين على فهم القسم في السورة وربطه بموضوعها، والسورة التي نزلت قبل سورة العاديات هي سورة العصر، وهي سورة مكية على رأي أكثر المفسرين⁽²²⁾، وقد عدها الزركشي في السور المكية⁽²³⁾، ولم يذكرها صاحب الإتيان في السور المختلف فيها⁽²⁴⁾، ومحورها العام يدور حول على أن جنس الإنسان في خسر إلا من اتصف بصفات أربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. وقال الألوسي فيها: وهي على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد روي عن الشافعي عليه الرحمة أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس لأنها شملت جميع علوم القرآن.⁽²⁵⁾

و ذكر الخطيب في المناسبة بين سورة الزلزلة وسورة العاديات، أن الزلزلة التي تزلزلها الأرض يوم البعث، وإخراج الأرض أقالها وما في جوفها من الموتى، وصدور الناس أشتاتاً من القبور إلى موقف الحشر، والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين - كل هذا تمثله صورة واقعة في الحياة، نجدها حين تقوم حالة حرب بين الناس، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة القتال، بما يركبون من خيل، وما يحملون من عدد القتال، وهم يصدرون من بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدو، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق حتى يبلغوا ساحة الحرب. وقد قال الشاعر قُرَيْطُ بْنُ أَنَيْفٍ:⁽²⁶⁾

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم
طاروا إليه زرافات ووحदानا⁽²⁷⁾

هكذا يوم إنه من يوم القيامة قريب في أهواله، وشدائده، وما يلقي الناس منه، من هول وشدة. ففي ميدان الحرب، حساب وجزاء، وريح وخسران، وهول وفزع، يشمل المحاربين جميعاً.

فالحرب، وميدانها في الدنيا، هي أقرب شيء يمثّل به المحشر، والحساب، والجزاء في الآخرة ولهذا جاءت سورة العاديات تالية سورة الزلزلة، لهذه المشابهة التي بينهما.⁽²⁸⁾ ويرى الباقي أن مناسبة سورة الزلزلة ومقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لإيتارالفاني من العز والمال على الباقي عند ذي الجلال، المدلول عليه بالقسم ﴿والعاديات﴾ والمقسم عليه وما عطف عليه، وقد علم أن اسمها أدل شيء على ذلك لما هدى إليه القسم لا والمقسم عليه: (بسم الله الذي له الأمر كله فلا يسأل عما يفعل) الرحمن (الذي عم بنعمة إيجاده وبيانه فنعمته أتم نعمة وأشمل) الرحيم (الذي خص خالص عباده بتوفيقه فأتم نعمته عليهم وأكمل. ولما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح السورة ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخاً من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفاً من أثر دنياه على أخراه.⁽²⁹⁾

وذكر الشيخ المراغي في تفسيره وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير.⁽³⁰⁾

مناسبة السورة لما بعدها نزولاً وترتيباً

نزلت سورة العاديات قبل سورة الكوثر التي اختلف أيضاً في مكيتها ومدنيتها، ورجح جمهور المفسرين مكيتها بخلاف ابن عاشور فقد رجح مدنيتها وهو ما سار عليه في تفسير آياتها.⁽³¹⁾

ولعل المناسبة بين هذه السور التي اختلف في تحديد نزولها يجعل المناسبة بينها أمراً ليس بالسهل؛ مما يحتم النظر في مجموع هذه السور دون النظر في الوحدة الموضوعية لسورة بعينها، ولعل ذلك يساعد كثيراً في الترحيح في تحديد وقت نزول هذه السور، والنظر في سورة الكوثر بعدها أيضاً من السور التي اختلف في تحديد نزولها، وذكرها الزركشي في عداد السور المكية⁽³²⁾، وذكر السيوطي أنّها مَدَنِيَّةٌ وقال وهو الصواب، وهو ما رَجَحَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ⁽³³⁾، لِمَا أَرَجَّه مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

"بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرجع رأسه متبسما فقال: أنزلت عليّ آناً سورةً فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُؤْتِرَ﴾ حَتَّى خَنَمَهَا... الْحَدِيثُ. (34)

وتلي سورة العاديات في ترتيب المصحف سورة القارعة وفي الربط بينهما أنه لما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ أي الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تفرع أسماع الناس وتدقها دقاً شديداً عظيماً مزعجاً بالإفزع، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتثار. (35) ويحتمل أنه لما قال في العاديات ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات / 9-10] وكان ذلك مظنة لأن يسأل متى ذلك؟ فقيل يوم القيامة الهائل الأمر، الفطيع الحال، الشديد البأس والقيامة هي القارعة، وكررت تعظيماً لأمرها. (36)

المطلب الرابع: محور السورة ومقاصدها:

إن الناظر والمتأمل في سورة العاديات يجد من خلال إيجازها وقصر آياتها، الذي يتسم بالقوة والجزم، مما يُلقى في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني، وموضوعها: اليوم الآخر، ففي كل كلمة، بل في كل حرف منها، سره البياني الباهر فيما قصد إليه القرآن من إحضار مشهد ليوم البعث شاخصاً مجسماً، وتأكيداً وقوعه، والإنذار بما ينتظر الإنسان فيه من حساب دقيق عسير. (37)

كما وتتضمن السورة تنديداً بحدود الإنسان واستغراقه في حب المال وتذكيراً بالآخرة وإحاطة الله بأعمال الناس. وأسلوبها عرض عام للدعوة كسابقتها. (38)

وتوسع صاحب الأساس في العلاقات بين السورة حيث ربط محور هذه السورة بما جاء في مقدمات سورة البقرة، وأن السورة تتحدث عن طبيعة الإنسان، وأنه جود، وأنه محب لمصلحته ومنفعته وهي تعالج هذا المعنى عند الإنسان، بتذكيره بالبعث والحساب، ومعرفة الله عز وجل، وإذا تذكرنا مقدمة سورة البقرة فإننا نرى أنها تتحدث عن المتقين والكافرين والمنافقين، وهذه السورة تتحدث عن سبب الكفر والنفاق، وتعالج ذلك ليكون الإنسان من المتقين، وهذه هي الصلة الرئيسية لهذه السورة بمقدمة سورة البقرة. (39) وذكر ابن عاشور جملة من أعراض السورة ومنها: دُمَّ حِصَالِ تَقْضِي بِأَصْحَابِهَا إِلَى الْخُسْرَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ حِصَالِ غَالِيَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَيُرَادُ تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا. وَوَعظُ النَّاسِ بَأَنَّ وِرَاءَهُمْ حِسَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيَتَذَكَّرَهُ الْمُؤْمِنُ وَيَهْتَدَّ بِهِ الْجَاهِدُ. (40)

المبحث الثاني

تناسق الموضوعات في سورة العاديات

المطلب الأول: تناسق القسم في السورة ودلالاته

تصدت السورة بالقسم في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَنْزَلَ بِهِ نَعْمًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات / 1-5]، وقد اختلف في القسم في هذه السورة على قولين:

أحدهما: أنها الإبل في الحج، قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي.

والثاني: أنها الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع، واللغويون (41). ورجح ابن عطية أن القسم بالخيل أو بالإبل أو بهما (42).

بينما يرجح الإمام الرازي أن القسم في السورة للخيل، واعتبر سياق وألفاظ هذه الآيات تتأدي أن المراد هو الخيل، وذلك لأنَّ الصَّبْحَ لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة، كما استعير المشافر والخافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز، وأيضاً فالقدح يظهر بالخافر ما لا يظهر بخف الإبل. (43) ويعود أسباب الاختلاف في القسم إلى الروايات التي يشير بعضها إلى مكية السورة وبالتالي يكون المقصود في القسم أبل الحجاج، والروايات التي تشير لمدينة السورة وبالتالي يكون المقصود في القسم خيل المجاهدين في سبيل الله، كما في الخلاف بين رأي ابن عباس وعلي رضي الله عنهما - كما في الرواية التي ذكرت عند حديثنا على أسباب نزول السورة.

والسبب الثاني: يعود لمعاني المفردات في القسم ودلالاتها مثل: (العاديات، المغيرات، الموريات، النقع، فوسطن) ودلالات هذه الألفاظ واستعمالها اللغوية،

وسنقف مع هذه الألفاظ للوقوف على دلالاتها، فالعاديات جمع (عادية) وهي الجارية بسرعة، من العدو، وهو المشي بسرعة.

والبياء عن واو لكسر ما قبلها نحو: الغازيات من العزرو. يُقال: عدا يَعدُوا عدواً، فهو عادٍ وهي عادية⁽⁴⁴⁾. وفي اللغة (العدو) العَيْنُ وَالذَّالُّ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَضْلٌ وَاحِدٌ صَاحِبٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ كُلُّهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزِ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ. وكذلك اختلف في وصفها بالصبح، يقول أبو حيان: الصَّبْحُ: تَصَوُّيْتُ جَهِيْرٌ عِنْدَ الْعَدُوِّ الشَّدِيدِ، لَيْسَ بِصَهِيْلٍ وَلَا رُغَاءٍ وَلَا نُبَاحٍ، بَلْ هُوَ غَيْرُ الْمُعْتَادِ مِنْ صَوْتِ الْحَيَوَانَ الَّذِي يَصْبِحُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَيْسَ يَصْبِحُ مِنَ الْحَيَوَانَ غَيْرَ الْخَيْلِ وَالْكَلابِ. قِيلَ: وَلَا يَصْبِحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لِأَنَّ الْإِبِلَ تَصْبِحُ، وَالْأَسْوَدَ مِنَ الْحَيَاتِ وَالْبُومَ وَالصَّدَى وَالْأَرْنَيبَ وَالنَّعْلَبَ وَالْقَوْسَ، كَمَا اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ لَهَا الصَّبْحَ.⁽⁴⁵⁾ بينما يرى غيره من المفسرين أن الصبح يتعلق بأصوات الخيل دون غيرها، فقد وجه القاسمي القسم في قوله تعالى ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ إقسام بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو، فتصبح. و﴿الصبح﴾ صوت أنفاسها إذا عدت. وليس المراد بالصوت الصهيل.⁽⁴⁶⁾

و﴿الصَّبْحُ﴾ في اللغة: الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلَانِ صَاحِبَانِ: أَحَدُهُمَا صَوْتٌ، وَالْأُخْرُ تَغْيِيرُ لَوْنٍ مِنْ فِعْلِ نَارٍ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: صَبِحَ النَّعْلَبُ يَصْبِحُ ضَبْحًا. وَصَوْتُهُ الضَّبْحُ، وَهُوَ ضَابِحٌ.⁽⁴⁷⁾

والصبح عند الأصفهاني: الصَّبْحُ: صوت أنفاس الفرس تشبها بالصَّبْحِ، وهو صوت النَّعْلَبِ، وقيل: هو الخفيف العدو، وقد يقال ذلك للعدو، وقيل: الصَّبْحُ كالصَّبْعِ، وهو مدَّ الصَّبْعِ في العدو، وقيل: أصله إحراق العود، شبه عدوه به كتشبيها بالنار في كثرة حركتها.⁽⁴⁸⁾

وعلى الإمام الرازي أن القسم في هذه الآيات هو قسم بالخيل لما للخيل من خصال ليست لسائر الدواب فإنها تَصْلُحُ لِلطَّلَبِ وَالْهَرَبِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ، فَإِذَا طَنَنْتَ أَنْ النَّفْعَ فِي الطَّلَبِ عَدَوْتُ إِلَى الْخَصْمِ لِنُفُورِ بِالْغَنِيمَةِ، وَإِذَا طَنَنْتَ أَنْ الْمُصْلَحَةَ فِي الْهَرَبِ قَدَرْتُ عَلَى أَشَدِّ الْعَدُوِّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّلَامَةَ إِحْدَى الْغَنِيمَتَيْنِ، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِفَرَسِ الْغَارِي لِمَا فِيهِ مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِيهِ تَثْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُمَسِّكَهُ لَا لِلزَّيْنَةِ وَالنَّفَاحِرِ، بَلْ لِهَذِهِ الْمُنْفَعَةِ، وَقَدْ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبُعَالِ وَالْحَمِيرِ لِيُرَكِّبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل/8] فَأَدْخَلَ لَامَ التَّغْلِيلِ عَلَى الرُّكُوبِ وَمَا أَدْخَلَهُ عَلَى الزَّيْنَةِ وَإِنَّمَا قَالَ: ضَبْحًا لِأَنَّهُ أَمَارَةٌ يُظْهِرُ بِهِ التَّعَبَ وَأَنَّهُ يَبْدُلُ كُلَّ الْوُسْعِ وَلَا يَقِفُ عِنْدَ التَّعَبِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّهُ مَعَ ضَعْفِهِ لَا يَثْرُكُ طَاعَتَكَ، فَلْيَكُنِ الْعَبْدُ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ أَيْضًا كَذَلِكَ.⁽⁴⁹⁾

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال الزمخشري: الإيراء. إخراج النار. تقول. قح فأورى، وقح فأصلد، والمقصود: ما ينقح من حوافرها قَدْحًا قَادِحًا تصاكات بحوافرها الحجارة. والقح: الصك⁽⁵⁰⁾.

بينما يرى ابن عطية في محرره أن المقصود بالقسم هي الألسن، فهذا على الاستعارة أي ببيانها تقح الحجج وتظهرها، وقال ابن عباس أيضا وجماعة من العلماء: الكلام عام يدخل في القسم كل من يظهر بقده ناراً، وذلك شائع في الأمم طول الدهر وهو نفع عظيم من الله تعالى، وقد وقف عليه في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة/72]معناه: تظهرون بالقح⁽⁵¹⁾، وبالرجوع لابن عاشور في تفسيره لهذه الآية قال معنى تُورُونَ: مُضَارِعٌ أَوْزَى الزَّنْدُ إِذَا حَكَّهُ بِمِثْلِهِ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ النَّارَ كَانُوا يَصْعُقُونَ عَوْداً مِنْ شَجَرِ النَّارِ وَيَحْكُوْنَهُ مِنْ أَعْلَاهُ بِعُودٍ مِثْلِهِ فَتَخْرُجُ النَّارُ مِنَ الْعُودِ الْأَسْفَلِ وَيُسَمَّى الْعُودُ الْأَعْلَى زَنْدًا (يقح الزَّيْ وَالسُّكُونِ النَّوْنِ) وَزِنَادًا (بكسر الزَّي) وَيُسَمَّى الْأَسْفَلُ زَنْدَةً بِهَاءِ تَأْنِيهِ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنَ الشَّجَرِ بِالِاقْتِدَاحِ وَتُدْخَى بِالشَّجَرِ فِي الْإِسْتِعَالِ وَالِالْتِهَابِ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ عَلَى تَقْرِيْبِ كَيْفِيَّةِ الْإِحْيَاءِ لِلْبَعْثِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْإِقْتِدَاحَ إِخْرَاجَ وَالزَّنْدَ الَّذِي بِهِ يُقَادُ النَّارَ يَخْرُجُ مِنْ أَعْوَادِ الْإِقْتِدَاحِ وَهِيَ مَيْتَةٌ⁽⁵²⁾، ولم أجد حقيقة مبرراً لما ذكره ابن عطية في تفسيرها بالألسن.

وأما قوله تعالى ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ فقد ذكر فيها خمسة أقوال عند المفسرين وهي:

الأول: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور. قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل، فأصابت بحوافرها الحجارة، انقذت منها النيران⁽⁵³⁾.

والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت، روي عن ابن عباس.

والثالث: مكرُّ الرجال في الحرب، قاله مجاهد، وزيد بن أسلم.

والرابع: نيران الحجج بالمزدلفة، قاله القرظي.

والخامس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة.⁽⁵⁴⁾

وأما الوصف الثالث في القسم فجاء وصفا خارجياً لا ذاتياً كما في الوصف الذي قبله فقال سبحانه ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَنْزَنَّ بِهِ نَفْعًا * قَوْسَطَنْ بِهِ جَمْعًا﴾ اتجهت آراء المفسرين في هذه الأوصاف الواردة في القسم باتجاه الجهاد، وذلك من خلال توجيه المفردات الواردة (المغيرات، ووقت الإغارة وهو الصبح، والنفع، ومفردة فوسطننا) يقول القاسمي: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ أي تغيير على

العدو في وقته. يقال (أغار على العدو) إذا هجم عليه ليقته أو يأسره أو يستلب ماله، وهو وصف عرض للخيل من الغاية التي أجريت لها. أي أنها تعدو ويشد عدوها حتى يخرج الشرر من حوافرها، لتتجه على عدو وقت الصباح، وهو وقت المفاجأة لأخذ العدو على غير أهبة فأثرت به نفعاً أي فأهجن، بذلك الوقت، غباراً من الإثارة. وهي التهيج وتحريك الغبار ونحوه ليرتفع⁽⁵⁵⁾.

بينما نجد ابن عاشور توسع في المعنى حيث جعل الخيل من وسائل الإغارة فقال: ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾: اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ أَعَارَ، وَالْإِغَارَةُ تُطْلَقُ عَلَى غَزْوِ الْجَيْشِ دَارًا وَهُوَ أَشْهَرُ إِطْلَاقِهَا فَاسْتَأْدُ الْإِغَارَةَ إِلَى ضَمِيرِ الْعَادِيَاتِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ فَإِنَّ الْمُغِيرِينَ رَاكِبُوهَا وَلَكِنَّ الْخَيْلَ أَوْ إِبِلَ الْعَزْوِ سَبَبٌ لِلْإِغَارَةِ وَوَسَائِلُ. وَتُطْلَقُ الْإِغَارَةُ عَلَى الْإِنْدِفَاعِ فِي السَّيْرِ⁽⁵⁶⁾.

وباعتبار القول الآخر فيكون القسم بالإبل تحمل الحجاج، ومعنى قوله: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا، أي: صرْنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْعَدُوِّ وَسَطَ جَمْعٌ. وَهِيَ الْمُرْدَلِفَةُ، وَجَمَعَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُرْدَلِفَةِ⁽⁵⁷⁾.

وَيَدُلُّ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمِّ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَيْرَ الْمُقَاتِلَةِ:

فَلَا وَالْعَادِيَاتُ مُغِيرَاتٌ جَمَعَ بِأَيْدِيهَا إِذَا سَطَعَ الْعُبَارُ⁽⁵⁸⁾

ونفق أمام رأي آخر ولعله أرجح هذه الأقوال وهو تعميم القسم بالخيل والإبل عموماً، فالذين قالوا: هي الخيل، قصرها على خيل الغزاة ليظهر وجه التعظيم في القسم بها. والذين قالوا: هي الإبل، قصرها على إبل الحاج تنطلق من عرفة إلى المزدلفة ثم إلى منى، للغرض نفسه.

والقلة التي ذهبت إلى أن العاديات هي الخيل بعامة، لم تتخل عن فكرة التعظيم، وجهد المحاولة لبيانها وتقريرها. فابن القيم يصرح بأنه لا يلزم حتماً أن نخص العاديات بخيل الغزاة وإن كانت أشرف أنواع الخيل "فالقسم إنما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من خلق هذا الحيوان الذي هو من أكرم البهيم وأشرفه، وهو الذي يحصل به العز والظفر، فذكرهم تعالى بنعمته عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على أعدائهم ويدركون به ثأرهم"⁽⁵⁹⁾.

ونفق مع هذا القسم جملة من الوقفات البيانية والدلالية ومنها:

(أل التعريف) في العاديات تحتل أن تكون للمعهود السابق فيكون القسم محلَّ القسم خَيْلٌ تِلْكَ السَّرِيَّةِ، وَإِنْ جَعَلْنَاهُمَا لِلْجِنْسِ كَانَ ذَلِكَ قَسَمًا بِكُلِّ خَيْلٍ عَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ⁽⁶⁰⁾. وكلاهما محتمل في الآية. وقد جاء القسم بصيغة الجمع (العاديات، فالمغيرات، فأثرتن، فوسطن) والمتأمل في هذا المشهد الجماعي يدل على إمكانية وقوعه في أي زمان ومكان، كما يتكرر في كل عام في مشهد الحج، ويدلنا هذا على القسم يفيد العموم.

ويلحظ التباين في العطف حيث عطف الأفعال (فأثرتن، فوسطن) على ما سبق من أوصاف العاديات الثابتة فيما دل عليه الاسم في (العاديات، والموريات، والمغيرات) ولعل هذا العطف له دلالاته وقد عطف هذه الأفعال على الفعل الذي وُضِعَ اسْمُ الْفَاعِلِ مَوْضِعَهُ، وَالتَّقْدِيرُ وَاللَّائِي عَدُونَ فَأَوْرِيزِينَ، وَأَغْرَنَ فَأَثْرَنَ⁽⁶¹⁾.

والوقفة الثالثة مع الضمير ﴿به﴾ وعلى من يعود؟، فقد ذكر فيه وجوه:

الأول: المقصود بالوادي (المكان)، ولم يذكره قبل ذلك، وهو جائز لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كُنِيَ عَنْهُ وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ⁽⁶²⁾.

الثاني: إِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْإِغَارَةُ، أَيْ فَأَثْرَنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَفْعًا⁽⁶³⁾.

الثالث: أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْعَدُوِّ، أَيْ فَأَثْرَنَ بِالْعَدُوِّ نَفْعًا، وَهُوَ قَوْلُ الْكِسَائِيِّ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ عَاشُورٍ⁽⁶⁴⁾.

والوقفة الرابعة وتتعلق بنوع (الباء) في قوله ﴿فأثرتن به﴾ وذكر ابن عاشور أن الباء في ﴿به﴾ يجوز أن تكون سببيةً، ويجوز أن الباء ظرفيةً والضمير عائداً إلى ضبحاً، فيكون المعنى أي أثرتن في ذلك الوقت وهو وقت إغارتها⁽⁶⁵⁾.

والوقفة الخامسة: تتعلق بتخصيص إثارة النقع بالصبح؛ وذلك لأنه لا يثور، ولا يظهر ثورانه بالليل، وبهذا يظهر أن الإبراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل⁽⁶⁶⁾.

وأما الضمير (به) في قوله ﴿فوسطن به جمعاً﴾ فقد ذكر السمين الحلبي فيه وجوهاً:

الأول: أنها للصبح.

الثاني: أنها للنقع، أي: وَسَطْنَ بِالنَّقْعِ الْجَمْعَ، أي: جَعَلْنَ الْغَبَارَ وَسَطَ الْجَمْعِ، فَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ هِيَ ظَرْفِيَّةٌ.

الثالث: أَنَّ الْبَاءَ لِلْحَالِيَةِ، أي: فَتَوَسَّطْنَ مُلْتَبَسَاتٍ بِالنَّقْعِ، أي: بِالْغَبَارِ جَمْعًا مِنْ جَمْعِ الْأَعْدَاءِ. وَقِيلَ: الْبَاءُ مَزِيدَةٌ، نَقَلَهُ أَبُو الْبَقَاءِ وَجَمْعًا عَلَى هَذِهِ الْأَوْجُهَةِ مَفْعُولٌ بِهِ.

الرابع: أن المراد بجمع المزدلفة وهي تسمى جمعا (67).

المطلب الثاني: التناسق بين القسم والمقسم عليه (بحود الإنسان نعم ربه)

يوضح هذا المطلب العلاقة بين القسم والمقسم عليه في السورة، ومدى التناسق بينهما، وقد لاحظنا العموم في القسم من مبدأه إلى منتهاه، وأن قصر القسم على صنف محدد كخيل المجاهدين أو أبل الحجاج لا ينسجم مع التعميم الوارد في القسم، وكما تتضح الصورة فلا بد من النظر في المقسم عليه في السورة ولا بد من التوافق بينهما، وأن القسم في هذه السورة في حقيقته إنما هو قسم بنعمة من نعم الله عز وجل، وهي نعمة هذه المخلوقات سواء الإبل أم الخيل واستخدامهما كوسيلة في الحج أو الجهاد ما هو إلا فائدة من فوائد تلك النعمة، وقد ذكر سبحانه وتعالى في كتابة العزيز في غير موضع فوائد هذه النعمة والدعوة إلى التفكير في خلقها وإبداعها، فقال عن الإبل ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية/17] وقال في وصف الخيل ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِجَادُ﴾ [ص/31] وقد بين لنا سبحانه وتعالى فوائد هذه الدواب فمنها الركوب عليها عموماً كوسائل للنقل، ومنها للزينة فقال: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لِيَتَرَكَّبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/7].

والمأمل في المقسم عليه في سورة العاديات وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحَبِّ الْخَبْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات/6-8] والكنود: الكفور. وإن الإنسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجده لظهور أمره. وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (68).

قال ابن فارس: (كَنَدَ) الْكَافُ وَالنُّونُ وَالذَّالُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاجِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْقَطْعِ. يُقَالُ كَنَدَ الْحَبْلُ يَكْنُدُهُ كَنْدًا. وَالْكَنُودُ: الْكُفُورُ لِلنِّعْمَةِ. وَهُوَ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ يَكْنُدُ الشُّكْرَ، أَي يَقْطَعُهُ (69).

وفي اللسان: كَنَدَ يَكْنُدُ كُنُودًا: كَفَرَ النِّعْمَةَ؛ وَرَجُلٌ كَنَادَ وَكُنُودٌ، قِيلَ: هُوَ الْجُحُودُ وَهُوَ أَحْسَنُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَأْكُلُ وَخَذَهُ وَيَمْنَعُ رُقْدَهُ وَيَضْرِبُ عُنْدَهُ (70).

وقد اختلف المعنى بحسب لغات العرب للفظه كنود، وكلها تدور حول معنى واحد فهو في لغة مصر وربيعه: الكفور بالنعمة، وبلغه كناية: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي. والمعنى: لشديد الكفران لله (71).

ويشير القرآن الكريم إلى طبيعة في الإنسان تتفاوت من إنسان لآخر فقال ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾، ونلاحظ أنه أكد على ذلك بمؤكد (إن) والتعريف في الإنسان تعريف الجنس وهو يُعَيِّدُ الْإِسْتِغْرَاقَ غَالِبًا، أَي أَنَّ فِي طَبْعِ الْإِنْسَانِ الْكُنُودَ لِرَبِّهِ، أَي كُفْرَانَ نِعْمَتِهِ، وَهَذَا عَارِضٌ يَعْضُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى تَفَاوُتٍ فِيهِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَكَمُلُ أَهْلِ الصَّلَاحِ لِأَنَّهُ عَارِضٌ يَنْشَأُ عَنْ إِيثارِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ وَهُوَ أَمْرٌ فِي الْجِبَلَةِ لَا تَدْفَعُهُ إِلَّا الْمُرَاقِبَةُ النَّفْسِيَّةُ وَتَذَكُّرُ حَقِّ غَيْرِهِ (72).

وَاللَّامُ فِي ﴿لِرَبِّهِ﴾ لَامُ التَّقْوِيَةِ لِأَنَّ (كُنُودٌ) وَصِفَتْ لَيْسَ أَصِيلًا فِي الْعَمَلِ (73).
وَتَقْدِيمُ ﴿لِرَبِّهِ﴾ لِإِقَادَةِ الْإِهْتِمَامِ بِمُتَعَلِّقِ هَذَا الْكُنُودِ لِتَشْبِيحِ هَذَا الْكُنُودِ بِأَنَّهُ كُنُودٌ لِلرَّبِّ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ الْمَوْجُودَاتِ بِالشُّكْرِ وَأَعْظَمُ ذَلِكَ شِرْكُ الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِلَامِ الْإِبْتِدَاءِ الدَّاخِلَةِ عَلَى حَبْرٍ (إِنَّ) لِلتَّعْجِيبِ مِنْ هَذَا الْخَبْرِ (74).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ﴾ ففيه قولان:
الأول: أن الإنسان على ذلك أي كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، إِمَّا لِأَنَّهُ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فِي الْأَجْرَةِ وَيَعْتَرِفُ بِدُنُوبِهِ، وَيَسْتَدْلُوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿وَإِنَّهُ لِحَبِّ الْخَبْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وَالصَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الصَّمِيرُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَكُونَ النَّظْمُ أَحْسَنَ.

الثاني: المراد وإن الله على ذلك لشهيد قالوا: وهذا أولى لأن الضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب ها هنا هو لفظ الرب تعالى ويكون ذلك كالتوعد والزرع له عين المعاصي من حيث إنه يُحْصِي عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ (75).

﴿وَإِنَّهُ لِحَبِّ الْخَبْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وَالشَّدِيدُ: الْبَخِيلُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ الشُّحَّ لِأَجْلِ حُبِّهِ الْمَالِ، وَتَقْدِيمُ (لِحَبِّ الْخَبْرِ) عَلَى مُتَعَلِّقِهِ لِلإِهْتِمَامِ بِعَرَابَةِ هَذَا الْمُتَعَلِّقِ وَلِمُرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ (76).

وَالْخَبْرُ لَفْظٌ عَامٌّ، وَذَكَرَ الشَّنْقِيطِيُّ أَنَّهُ خَاصٌّ بِالْمَالِ، فَهُوَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ مِنْ قَصْرِ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَقْرَابِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة/181]، أَي: مَالًا؛ لِأَنَّ عَمَلَ الْخَبْرِ يَصْحَبُهُ مَعَهُ وَلَا يَتْرُكُهُ (77).

والمعنى: وإن هذا الإنسان لشديد الحب لجمع المال، ولكسبه من مختلف الوجوه بدون تفرقة - في كثير من الأحيان - بين الحلال والحرام، ولكنزه والتكثر منه، وبالبخل به على من يستحقه (78).

ثم بعد ذلك يبين لنا القرآن الكريم مآلات الإنسان فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحُهُ فِي الْقُبُورِ﴾ وربما يتبادر للذهن لم قال:

بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يُقَلِّ: بُعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟ يجيب الرازي عن هذا التساؤل أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ الْمُكَلَّفِينَ أَكْثَرَ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَى الْأَغْلِبِ، أَوْ إِنَّهُمْ خَالَ مَا يُبْعَثُونَ لَا يَكُونُونَ أَحْيَاءَ عُقْلَاءَ بَلْ بَعْدَ الْبُعْثِ يَصِيرُونَ كَذَلِكَ، فَلَا جَزَمَ كَانَ الصَّمِيرُ الْأَوَّلُ صَمِيرَ غَيْرِ الْعُقْلَاءِ، وَالصَّمِيرُ الثَّانِي صَمِيرَ الْعُقْلَاءِ (79).

ومعنى بُعِثَ: الْقَلْبَ مِنْ سُفْلِ إِلَى عُلوِّ، وَالْمُرَادُ بِهِ إِحْيَاءُ مَا فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ الْكَامِلَةِ الْأَجْسَادِ أَوْ أَجْزَائِهَا، وَالْمَعْنَى: أَلَا يَعْلَمُ الْعَذَابَ جَزَاءَ لَهُ عَلَى مَا فِي كُنُودِهِ وَبُخْلِهِ مِنْ جِنَايَةٍ مُتَقَاوِتَةٍ الْمُقْدَارِ إِلَى حَدِّ إِجَابِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ (80).
وقوله تعالى ﴿وَحَصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال البيضاوي: وَحَصِّلَ جَمْعَ مُحْصَلًا فِي الصَّحْفِ أَوْ مِيز. مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَخْصِيصَهُ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ (81).

ويقول الرازي في سبب تخصيص الصدور بالذكر وتخصيص أعمال القلوب دون أعمال الجوارح في هذه الآية لِأَنَّ الْقَلْبَ مَطِيئَةُ الرُّوحِ وَهُوَ بِالطَّبَعِ مُحِبٌّ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَخِدْمَتِهِ، إِنَّمَا الْمُنَازَعُ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ النَّفْسُ وَمَحَلُّهَا مَا يَفْرُبُ مِنَ الصُّدْرِ، وَبِالنَّسْبَةِ لِتَخْصِيصِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ دُونَ الْجَوَارِحِ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ تَابِعَةٌ لِأَعْمَالِ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ لَوْلَا الْبَوَاعِثُ وَالْإِرَادَاتُ فِي الْقُلُوبِ لَمَا حَصَلَتْ أَفْعَالُ الْجَوَارِحِ، وَلِذَلِكَ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا الْأَصْلَ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَمَّ قَلْبُهُ﴾ [البقرة/282] وَالْأَصْلُ فِي الْمَذْحِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال/2]. (82)

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ لا يختلف العلم وقت المجازاة بالأعمال والأقوال والأحوال عن العلم الأزلي لله تعالى بذلك، وإنما قال: يَوْمَئِذٍ لِلتَّكْذِيبِ عَلَى شَمُولِ الْعِلْمِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَلِأَنَّ الْجَزَاءَ مَنْوُوطٌ بِالْعَمَلِ السَّابِقِ، فَيَكُونُ تَخْصِيصُهُ دَالًا عَلَى التَّنْكَرِ وَعَدَمِ النِّسْيَانِ، وَعَلَى التَّرَامِ الْعَدْلِ وَتَوَافُرِ الْعِلْمِ وَقْتِ الْجَزَاءِ (83).

المطلب الثالث: التناسق بين الغرائز الإنسانية والوعيد المذكور في السورة

ربما يتبادر للذهن ذم المال عموماً أو الزهد في طلب الدنيا من خلال ما ذكر من الوعيد في هذه السورة الجليلة، وما تجدر الإشارة إليه أن الإسلام ومن خلال نصوص قرآنية عديدة لا يذم المال لذاته ولا ينهى عن السعي في طلب الرزق والاستزادة منه، بل يحث عليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص/77] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك/15].
إذن، كيف نفهم الوعيد المذكور في السورة ضمن سياق الحديث عن النعم والقسم بها؟

إن مجيء مشهد الحديث عن القبور وبعثتها بعد الحديث عن صفات الإنسان وحبه للمال وكنوده وجوده هو من باب العلاج للكنود والجحود والأثرة والشح، لتحطيم قيد النفس وإطلاقها منه مع عرض مشهد البعث والحشر في صورة تنسي حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر (84). فالإسلام قَدَّرَ نعمة المال ودوره في الحياة ودوامها واستقرارها، ولكنه جعل في هذا المال حقوقاً لله وحقوقاً للغير، وجعل المسائلة عنه يوم القيامة ففي الحديث: ﴿لَا تَرُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ﴾ (85) وينسجم ما ورد في الحديث مع جاء من الوعيد في السورة. فالوعيد في السورة للأثر المترتب على كفران النعم وعدم شكرها، أو استخدامها في غير مرضات الله أو بما يعود بالنفع على النفس أو الغير مما يحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض الذي من أدواته هذا المال وهذه النعم عموماً.

الخاتمة:

الحمد لله من قبل ومن بعد على ما منَّ به من تيسير كتابه للذكر والتدبر، وبعد مراجعة كتب التفسير؛ للبحث عن إسرار سورة العاديات خرجت في هذه الدراسة بجملة من النتائج:

1. ترجيح مكية السورة، وهو ما ينسجم ووحدة السورة الموضوعية والعلاقة بين القسم والمقسم عليه.
2. تبين لنا من خلال مدلولات ألفاظ القسم وجوابه أن التعميم أولى من تخصيص السورة بخيل الجهاد أو أبل الحبيج، بل هي عامة في جملة النعم التي أنعم الله على الإنسان من هذه الدواب ولما لها من فضل على غيرها من سائر الدواب.
3. التناسق بين السورة وبين جارتها من السور نزولاً وترتيباً في المصحف مما يزيد في ترجيح مكيتها، وبيان طبيعة الإنسان في جحود النعم، وعاقبة هذا الجحود يوم القيامة.
4. التنبيه لأهمية الشكر على النعم، وتطهير النفس من الشح والبخل والكنود.

التوصيات:

من خلال دراستي لهذه السورة يوصي الباحث في دراسة السور المختلف في تحديد نزولها وفق التناسق الموضوعي بين السور ذات العلاقة فضلا عن التناسق بين مقاطع السورة ومدلولات ألفاظها.

الهوامش

- (1) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، ط5، بيروت، المكتبة العصرية، 1999م، ج 1، ص309
- (2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414 هـ، ج10، ص 352-353.
- (3) الجرجاني، علي بن محمد بن الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ص236.
- (4) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج3، ص115.
- (5) انظر الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط1، بيروت، دار القلم، 1412 هـ، ص434.
- (6) الزرقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1، ص350.
- (7) بازمول، محمد بن عمر بن سالم، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية، ص11
- (8) المبارك، محمد حبيب مختار، التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الرحيم الغامدي، جامعة أم القرى، 1434هـ، ص37.
- (9) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية، 1984م، ج 30، ص497
- (10) انظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1957م، ج 1، ص270
- (11) أخرجه الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت 1990، ج 2، ص 115 حديث رقم (2507)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال عنه الذهبي خير منكر، وبعد الرجوع لكتب الرجال وجدت أن معاوية البجلي قال عنه احمد وابن المديني والنسائي (ثقة) انظر تهذيب التهذيب 406/7، وقال عنه ابن حجر: (صدوق يتشيع) انظر تقريب التهذيب 408/1. وأما أبو صخر حميد بن زياد المدني قال أحمد ليس به بأس، وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في النقات. انظر تهذيب التهذيب 41/3-42
- (12) انظر النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الشيخ زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 6، ص549.
- (13) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص497
- (14) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»، حديث رقم(1007). وله رواية أخرى في كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري رقم (4821).
- (15) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص497
- (16) الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، ج16، ص1653.
- (17) انظر البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1423 هـ، ج4، ص801.

- (18) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط2، دار الإصلاح، الدمام، 1992 م، ج 1، ص463
- (19) انظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج4، ص132، وبعد البحث لم أجد هذه الرواية المرسلة في كتب أبي عبيد ونفرد السيوطي بذكرها مرسلة، وبعد البحث الطويل لم أجد حديثاً صحيحاً في فضل سورة العاديات - والله أعلم - ..
- (20) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ، ج 30، ص366
- (21) انظر الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 708هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1990م، ج1، ص374
- (22) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص527
- (23) انظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، 1957 م، ج1، ص193.
- (24) انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ) الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م، ج 1، ص40.
- (25) انظر الأوسى، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، ج 15، ص457.
- (26) قريط بن أنيف العنبري التميمي: شاعر جاهلي، في حياته غموض. انفراد " معمر بن المثنى " برواية خبر عنه. انظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002 م، ج5، ص195.
- (27) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، ج1، ص4.
- (28) انظر الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج 16، ص1653-1654
- (29) انظر البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج22، ص209-211.
- (30) المرادي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ)، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1946 م، ج30، ص221
- (31) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص572
- (32) انظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص193.
- (33) ولعل مقصود الإمام السيوطي هنا بذكر الإمام النووي للأحكام المستفادة من الحديث ومنها: جواز النوم في المسجد، وهذا كان في المدينة؛ فرجح مدنيته. انظر النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392، ج 4، ص113.
- (34) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ حُجَّةٍ مَنْ قَالَ: اَلْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٍ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم (400).
- (35) انظر البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج22، ص220
- (36) انظر الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ج1، ص374.
- (37) بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (المتوفى: 1419هـ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط7، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص103
- (38) دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383 هـ، ج2، ص7
- (39) انظر حوى، سعيد (المتوفى 1409 هـ)، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام، القاهرة، 1424 هـ، ج 11، ص6644

- (40) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص498
- (41) انظر ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ، ج 4، ص480.
- (42) انظر الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1422 هـ، ج 5، ص513.
- (43) انظر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب / التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، ج 32، ص259
- (44) السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج11، ص81.
- (45) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج10، ص526
- (46) انظر القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (المتوفى: 1332هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ج9، ص528.
- (47) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص385.
- (48) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، ص501.
- (49) انظر الرازي، مفاتيح الغيب / التفسير الكبير، ج32، ص259.
- (50) انظر الزمخشري، الكشاف، ج4، ص787
- (51) انظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص514
- (52) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص325-326
- (53) انظر الزجاج، إبراهيم بن السري (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعراجه، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988 م، ج 5، ص353
- (54) انظر ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ، ج 4، ص481
- (55) القاسمي، محاسن التأويل، ج9، ص528
- (56) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص500
- (57) الشقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (المتوفى: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1995 م، ج 9، ص62
- (58) انظر ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى: 151هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1978م، ج1، ص157. وهذا البيت من جملة ما قالت:
- ألا من مبلغ عني قریشاً ففيم الأمر فينا والإمار
لنا الأمر المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار
مجازيل العطا إذا وهبنا وأيسار إذا ابتغى اليسار
وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصة وعار
لنصطبرن لأمر الله حتى يبين ربنا أين القرار
- (59) بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص105
- (60) انظر الرازي، مفاتيح الغيب / التفسير الكبير، ج32، ص259
- (61) انظر المصدر السابق، ج32، ص261
- (62) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف، مصر، ج3، ص285

- (63) انظر الزمخشري، الكشاف، ج4، ص787
- (64) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص501
- (65) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص501
- (66) الهري، محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي، ط1، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، 2001 م، ج32، ص264.
- (67) السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج11، ص87.
- (68) انظر الزمخشري، الكشاف، ج4، ص788
- (69) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1979م، ج5، ص140
- (70) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج3، ص381 مادة (كند)
- (71) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص502
- (72) المصدر السابق ج30، ص503
- (73) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص503
- (74) المصدر السابق، ج30، ص504
- (75) انظر الرازي، مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، ج32، ص262
- (76) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص505.
- (77) انظر الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (المتوفى: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج9، ص67.
- (78) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة 1998، ج15، ص484-485
- (79) انظر الرازي، مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، ج32، ص263.
- (80) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص506
- (81) الليضاي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ، ج5، ص331
- (82) انظر الرازي، مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، ج32، ص264.
- (83) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر، دمشق، 1418 هـ، ج30، ص373
- (84) انظر قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، بيروت- القاهرة، 1412هـ، ج6، ص3958
- (85) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975 م، حديث رقم (2417)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح

المصادر والمراجع

- ابن إسحاق، م، (1978م)، سيرة ابن إسحاق /كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت.
- الأصفهاني، ح، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق.
- الألوسي، ش، (1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأندلسي، ع، (1422 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأندلسي، م، (1420 هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.
 بازمول، م، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية.
 البخاري، م، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ.
 البقاعي، إ، (المتوفى: 885 هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
 البلخي، م، (المتوفى: 150 هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث، بيروت، 1423 هـ.
 البيضاوي، ن، (1418 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 الترمذي، م، (1975 م)، سنن الترمذي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
 ابن الجوزي، ج، (1422 هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
 الحاكم، م، (1990)، المستدرک على الصحيحين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
 الحلبي، أ، (المتوفى: 756 هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
 حوى، س، (1424 هـ)، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام، القاهرة.
 الخطيب، ع، (المتوفى: 1390 هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
 دروزة، م، (1383 هـ)، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
 الرازي، م، (1420 هـ)، مفاتيح الغيب / التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 الزجاج، إ، (1988 م)، معاني القرآن وإعرابه، ط1، عالم الكتب، بيروت.
 الزحيلي، و، (1418 هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر، دمشق.
 الزركشي، ب، (1957 م)، البرهان في علوم القرآن، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
 الزركلي، خ، (2002 م)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.
 السمين الحلبي، ش، (المتوفى: 756 هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
 الشنقيطي، م، (1995)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت.
 بنت الشاطي، ع، (المتوفى: 1419 هـ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط7، دار المعارف، القاهرة.
 الطائي، أ، ديوان الحماسة.
 الطبري، م، (1990)، جامع البيان، ط1، دار الفكر، مصر.
 طنطاوي، م، (1998)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة.
 ابن فارس، أ، (1979 م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
 الفراء، ي، (المتوفى: 207 هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف، مصر.
 القاسمي، م، (1418 هـ)، محاسن التأويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
 قطب، س، (1412 هـ)، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة.
 المراغي، أ، (1946 م)، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
 مسلم، م، (المتوفى: 261 هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 النووي، م، (1392)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 النيسابوري، ح، (المتوفى: 850 هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
 المبارك، م، (1434 هـ) التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الرحيم الغامدي، جامعة أم القرى.
 ابن منظور، م، (1414 هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت.
 الهريري، م، (2001 م)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن إشراف: هاشم محمد علي، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

The Objective Consistency in Surah Al-Adiyat

*Ali Abdallah Ahmad Al Hrerat**

Abstract

This study deals with one of the short surahs in the holy Quran which differs in directing the oath in it and its relation to objective unity according to the dispute on the revelation of the surah. in this study, i follow the occasions of this surah and previous surahs to expose objective unity with the adjacent surahs giving a holistic view of the objective unity of the surah through the network of relations of these surahs. To determining its objective unity in addition to its occasions, the study relies on the linguistic and semantic sides of the vocabulary and composition of the surah, in addition to directing the narratives mentioned in their revelation to discern the axes of this great surah.

Keywords: Chargers, occasion, Consistency, Objective Unity.

* Faculty of Sharia', Mutah University, Jordan. Received on 23/9/2018 and Accepted for Publication on 18/12/2018.